

فالبيتان قد يكونان في معنى واحد ولكن يختلف أحدهما عن الآخر في صورته بخواص ومزايا وصفات كالحاتم والخاتم والشنف والشنف والسوار والسوار وسائر أصناف الحلبي التي يجمعها جنس واحد ثم يكون بينها الاختلاف الشديد في الصنعة والعمل . قال : « ومن هذا الذي ينظر الى بيت الخارجي وبيت أبي تمام فلا يعلم أن صورة المعنى في ذلك غير صورته في هذا ؟ كيف والخارجي يقول : « واحتجّت له فعلاته » ويقول أبو تمام : « اذن لهجاني عنه معروفه عندي » ومتى كان أحتج وهجا واحداً في المعنى ؟ وكذلك الحكم في جميع ما ذكرنا ، فليس يتصور في نفس عاقل أن يكون قول البحري :

وأحب آفاق البلاد الى الفتى أرضٌ ينال بها كريمَ المطلبِ

وقول المتنبي : « وكل مكان ينبت العزّ طيبٌ » سواء ^(١) .

وخلص من ذلك الى أن وضع قاعدة أساسية هي أن « للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك » ولخص رأيه في الاخذ بقوله : « واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر وكان التالي من الشعارين يجيئك به معاداً على وجهه لم يحدث فيه شيئاً ولم يغير له صفة لكان قول العلماء في شاعر : « أنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد » وفي آخر : « أنه أساء وقصّر لغواً من القول من حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئاً . وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيراً للبيت ومناسباً له خطأ منهم لأنه محال أن يناسب الشيء نفسه وأن يكون نظيراً لنفسه . أمر ثالث وهو أنهم يقولون في واحد : « انه أخذ المعنى فظهر أخذه ؟ وفي آخر : « انه أخذه فأخفى أخذه » . ولو كان المعنى يكون معاداً على صورته وهيئته وكان الأخذ له من صاحبه لا يصنع شيئاً غير أن يبدل لفظاً مكان لفظ كان الاخفاء فيه محالاً لأن اللفظ لا يُخفي المعنى وإنما يُخفيهِ لإخراجه في صورة غير التي كان عليها . مثال ذلك ان القاضي أبا الحسن ذكر فيما ذكر فيه تناسب المعاني بيت أبي نواس :

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .